المحاضرة الاخيرة– مراحل الثورة التحريرية 1954-1962 .

يمكن تقسيم الفترة العمرية للثورة الجزائرية التي استمرت حوالي سبع سنوات وتصنف إلى أربع مراحل: مرحلة الانطلاق التي تمتد من 1954 إلى 1956 ومرحلة التنظيم والشمول من 1956 إلى 1958 ومرحلة حرب الإبادة من 1958 إلى 1960 ورابعها مرحلة المفاوضات والاستقلال من 1960 إلى 1962.

1-المرحلة الأولى: مرحلة الانطلاق (1954-1956)

ان هذه المرحلة تعد من أصعب مراحل الثورة التحريرية وتمكن الصعوبة في كيفية اقناع الشعب الجزائري والراي العام العالمي برعية الثورة وكيفية تأمين السلاح والمال اللازمين لاستمرارها وترسيخها ونجاحها وكيفية ابتكار التنظيمات والمؤسسات الضرورية لتسييرها، كما تعد هذه المرحلة القاعدة الصلبة التي ارتكزت عليها الثورة بنجاحها تأتي مراحل أخرى وتسير الثورة نحو الهدف المنشود وبفشلها يقر مشروع الثورة.

ولهذا ارتكز " العمل هلال هذه الفترة على تثبيت الوضع العسكري وتقوية ومد الثورة بالمتطوعين والسلاح والعمل على توسيع إطارها لتشمل كافة أنحاء البلاد".[1]

وعليه فلقد أخذ الجزائريون بأسلوب حرب العقابات ونصب الكمائن وشن الغارات أما فيما يخص السلاح فلقد توصل بن بلة وبوضياف إلى اتفاق مع ممثلي المخابرات المصرية يتضمن توجيه الدعم المصري حاديا وعسكريا لممثلي جيش التحرير " ولقي هذا الاتفاق أول تجسيد له على عملية يخت الملكة دينا الذي أوصل كميات هامة من السلاح إلى شاطئ الناظور شرق المغرب في 30 مارس 1955".[2]

وابتداءا من منتصف 1955 قسم جيش التحرير الوطني التراب الجزائري إلى خمس مناطق وهي :

*المنطقة الأولى: الأوراس النمامشة، وعلى رأسها مصطفى بن بولعيد.

---

[1] مسعود مزهودي وآخرون: ثورة التحرير الوطني مبادئ وأخلاق، اشراف محمد ميموني، دار الهدى ، الجزائر، ص 24.
[2] محمد عباس: المرجع السابق، ص 102.

*المنطقة الثانية: الشمال القسنطيني، وعلى راسها ديدوش مراد.

*المنطقة الثالثة (القبائل الكبرى والصغرى، وعلى رأسها كريم بلقاسم.

المنطقة الرابعة: الجزائر العاصمة وعلى رأسها رابح بيطاط.

المنطقة الخامسة: وهران وعلى رأسها محمد بوضياف.[3]

وبدأ في ضرب مصالح العد العسكرية والاقتصادية وبدأت تأخذ شكل معارك لعل اهم معركة انتصر فيها جيش التحريري الوطني هي معركة الشمال القسنطيني 20 أوت 1955 حيث اعتبرت مرحلة حاسمة في مسيرة الثورة الجزائرية، حيث قام زيغود يوسف ينظم الهجومات في ولاية قسنطينة والتي استمرت من 20 أوت إلى 27 أوت وأشرك فيها أبناء الشعب والهجومات وقاموا بتخريب السجون ومراكز الشرطة ومزارع المعمرين وأعمدة الهاتف والكهرباء، ومجموع العمليات المنفذة 39عملية على مختلف أنحاء منطقة شمال قسنطينة ضد أهداف عسكرية واقتصادية.

وبهذا كان هجوم 20 أوت بمثابة انطلاقة جديدة بالنسبة للثورة أذهلت العدو يقدر ما فاجأته، وقد استعادوا الثوار بفضلها زمام المبادرة فأصبحوا يتنقلون في وضح النهار على متون الخيل والبغال، أما المواطنون فقد ازداد إقناعهم بان استعادة الاستقلال ممكنة بعدان كانت حلما بعيدا.[4]

وبهذا أكدت الأحداق التفاف الجماهير بجيش التحرير الوطني كما نجحت في فك الحصار على الاوراس وتاكيد استمرارية الثورة وشموليتها وانتشارها مواجهة بذلك استراتيجية سوستال[5] الهدفة إلى فصل الشعب عن الثوار والتضامن مع الشعب المغربي الشقيق من خلال تاريخ 20 أوت 1955 ذكرى نفي الملك محمد الخامس كما استطاعت لفت انتباه الرأي العام الدولي للقضية الجزائرية حيث أن جبهة التحرير الوطني تلفت دعوى لحضور بندوة باندونغ وبعد الاستماع التنديدات

---

[3] علي كافي: المصدر السابق، ص 74.

[4] محمد عباس: المرجع السابق، ص 126.

[5] جاء سوستال نصية رئيس الحكومة ادقارفورد كحاكم عام على الجزائر من أصول يهودية من المتعصبين على فكرة الجزائر فرنسية ومن المدافعين لمصالح المعمرين، بدأ نشاطه في شهر أفريل، قدم عدة مشاريع إصلاحية وعسكرية لحل القضية الجزائرية، استعمل أسلوب الحرب النفسية، قام بتأسيس مدرسة وطنية للاداريين بهدف قوة ثالثة، ثم عزله في جانفي 1956، انظر محمد عباس، الثورة الجزائرية، نصر بلا ثمن ، ص 135.

بالاستعمار بجميع أشكاله صادقت الندوة بالإجماع على لائحة مصرية تطالب بحق الجزائر في الاستقلال وتطالب فرنسا باعطاء جواب مستعجل وفي 20 سبتمبر من نفس السنة طالبت 15 دولة من كتلة باندونغ بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة.[6]

كما أدت هذه الهجومات إلى انضمام العديد من الشخصيات السياسية إلى صفوف جبهة التحرير الوطني أما فيما يخص موقف العدو الفرنسي من عدة الأحداث فلقد أصيب بخيبة أمل كبيرة حيث استطاعت هذه الأحداث جبر مشروع جاك سوستال فما كان عليه إلا القيام بحملات قمع واسعة لمدنيين وملاحقة المجاهدين وكل من يساندهم أو يتعاطف معهم.[7]

فأقدم بهمجيته المعهودة بمجازر انتقامية متسعة بالوحشية في حق السكان والقرى والمداشر مثل مجزرة سكيكدة التي لا مثيل لها إلا مجزرة 8 ماي 1945، كما انتشرت حملات الاعتقال والسلب والنهب وهتك الأعراض وتنفيذ حكم الإعدام في حوالي 7 آلاف مواطن ووقف الكثير منهم إحياء. باللجوء إلى الأسلحة المحظورة مثل الالنبالم في إطار عملية "فير ونيك" (10 يناير 1955) إعلان حالة الطوارئ وابتداءا من 3 أفريل 1955استدعاء الاحتياطي من الجنود وقد ادى ذلك إلى مضاعفة تعدد القوات النظامية الذي ارتفع في بضعة أشهر من 80 ألف جندي إلى 160 ألف في يوليو إلى 190 ألف قبيل نهاية السنة.[8]

كما نجد كاتب أجنبي مثل "ايف كوريا" كتب في كتابه "زمن الفهود" أنه الهجوم الأول الحقيقي لحرب الجزائر ويضيف أيضا تخلت حرب الجزائر الآن مرحلتها النشطة الأقنعة ستسقط والسياسات ستتطور من الآن فصاعدا سيكون هناك "قبل 20 أوت وما بعد 20أوت".[9]

كما تقول كاتبة الفرص الضائعة انه أول هجوم جزائري موسع وشامل يكشف عن إعداد دقيق ووجود قوات نضامية هامة، أهمية المساعدة من الجماهير

---

[6] علي كافي: المصدر السابق، ص 89.
[7] مسعودي مزهود وآخرون: المرجع السابق، ص 85.
[8] محمد عباس: المرجع السابق، ص 139.
[9] علي كافي: المصدر السابق، ص 86.

انه يمثل منعرجا لحرب التحرير الجزائرية سواء من الناحية الشمولية أو من ناحية اختيار الأهداف".[10]

المرحلة الثانية: مرحلة التنظيم والشمول (1956-1958)

بعد أحداث 20أوت 1955 وما نتج عنه على الصعيد الداخلي والخارجي عسكريا وسياسيا جاءت ذاكرة الأولى لتفتح آفاقا جديدة للثورة التحريرية بانعقاد مؤتمر الصومام الذي يعتبر حدث تاريخي كبير فقد كانت الوضعية عبر التراب الوطني تتسم بعدم التنسيق كل مسؤولية يتخذ المبادرة التي يراها مناسبة لمنطقته والاتصالات شبه منعدمة الأسلحة المطلوبة غير متوفرة ولم تكن هناك قيادة موحدة يضاف إلى ذلك الصراعات على الزعامة الثورة بين جماعة الداخل والخارج كل هذا استدعى ضرورة اللقاء.[11]

أمام تطور متطلبات الثورة التحريرية داخليا وخاريا وعسكريا وسياسيا فارتأت قيادة الثورة الإسراع بعقد مؤتمر لتقييم الفترة السابقة والتحضير للفترة اللاحقة قتم عقد مؤتمر الصومام بقرية "إفري" اوزلاقن "بواد الصومام بالمنطقة العسكرية الثالثة حيث خرج المؤتمر بوثيقة عدت الوثيقة الثانية بعد نداء نوفمبر ضمنها المؤتمرون آفاق الثورة التحريرية على الصعيد الداخلي والخارجي وأهم ما جاء فيها التنظيم العسكري الجديد أي هيكلة الجيش الكتيبة 110 جنديا، الفرقة 35 جنديا الفوج 11 جنديا، نصف الفوج 5 جنود، ولأول مرة أطلق اسم الولاية على المنطقة وأصبح كل قائد ولاية عقيدا ، أعيد التقسيم الجغرافي وأصبح شبه 6 ولايات وتم توحيد الزي والرتب والشارات العسكرية وتكوين هيأة تشريعية (المجلس الوطني للثورة الجزائرية) وهيأة تنفيذية لجنة التنسيق والتنفيذ".[12]

أما دوليا فبالرغم من المجهودات المضيفة التي كانت تقوم بها الدبلوماسية الفرنسية والدول الداعمة لها من اجل القضاء على ملف القضية الجزائرية الذي أحرز تقدما وتأيدا من الرأي العام العالمي الذي استنكره بشدة جرائم وفضائح الاستعمار في الجزائريين، أدرجت القضية الجزائرية غب الدورتين 11 و 12 للأمم المتحدة اللتان عقدتا في نوفمبر وديسمبر 1957 وحضيت القضية الوطنية

---

[10] Yves couriere, lheure des coloneles, fayard, Paris, 1970, PP :293-294.

[11] علي كافي: المصدر السابق، ص 105.

[12] المصدر نفسه، ص 105.

بمكانة مرموقة غي الندوة الأفروأسيوية المنعقدة بالقاهرة وكذلك شاركت في مؤتمر " أكرا" في غانا للدول الإفريقية في أفريل 1958، وجاء بعد ذلك الجنرال "دغول"[13] إلى الحكم كمنقذ لفرنسا خلال الاستنجاد بقوات اللفيف الأجنبي والمعدات العسكرية المتطورة.[14]

فشهدت هذه المرحلة ارتفاع حدة الهجوم الفرنسي المضاد للثورة من اجل القضاء عليها إلا أن هذه الأخيرة ازدادت اشتعالا وعنفا بسبب تجاوب الشعب معها وأقام جيش التحرير مراكز جديدة ونشطت حركة الفدائيين في المدن ومن قمة ازدادت الخسائر في صفوف الجيش الفرنسي كما تمكن جيش التحرير من إقامة بعض السلطات المدنية أيضا تدعمت صفوف الثورة بالشباب المتفق من الجامعات ومن معهد بن باديس بقسنطينة ومن المعاهد والجامعات العربية في تونس والمغرب ودول المشرق العربي.[15]

وبعد 4 سنوات من الحرب والامتحان الصعب والطويل الذي عرفته مسيرة قضيتنا والتفكير العميق قررت لجنة التنسيق والتنفيذ ان تنحل وتشكل أول حكومة مؤقتة في 19 سبتمبر 1958 وهاته الأخيرة دعمت بعنصرين هما بن خدة الذي عاد بعد سنة من إقصائه من لجنة التنسيق والتنفيذ ومحمد يزيد الذي كان ممثلا لجبهة التحرير في منظمة الأمم المتحدة.[16]

أما على الصعيد الدولي فقد اعترفت العديد من الدول بهذه الحكومة المؤقتة وكان في الصدارة مثر والعراق وليبيا[17] ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هذه الحكومة هي الممثل الشرعي والناطقة باسم الشعب والمسؤولة عن قيادة الثورة سياسيا وعسكريا وأعلنت في اول بيان لها عن موافقتها على إجراء مفاوضات مع الحكومة الفرنسية شرط الاعتراف المسبق بالشخصية الوطنية الجزائرية.[18]

المرحلة الثالثة: مرحلة حرب الإبادة (1958-1960)

---

[13] ولد شارل دغول في مدينة ليل عام 1870 توفي 1970 تخرج من مدرسة سانسير العسكرية وقع أسير الألمان أثناء الحرب العالمية الأولى ثم أطلق سراحه، كان عضو في وزارة المارشال بيتان، تقلد عدة مناصب أبعد عن السلطة سنة 1946 او بعد اشتداد الحرب التحريرية عاد للسلطة سنة 1958 قام بعدة مشاريع للتمسك بالجزائر اهمها مشروع تقرير المصير سنة 1959 قاد عدة محادثات (ايفيان).

[14] عيسى صيودا: مراحل الثورة التحريرية، مجلة الجيش، العدد 25، 1975، ص 37.

[15] مسعود مزهردي وآخرون: المرجع السابق، ص 85.

[16] سعد دحلب: المهمة منجزة من أجل استقلال الجزائر، منشورات دحلب، الجزائر، 1986، ص ص 78-80.

[17] احمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982ن ص 400.

[18] مسعود مزهودي وآخرون، المرجع السابق، ص 87.

انتهت فرنسا في هذه المرحلة سياسة العصا والجزرة وفيها أصبحت المواجهة بين القوة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني تستدعي صرامة وشجاعة وقد زود الجانب الفرنسي بأحدث الآلات التدميرية التي لا تتوازن في القضاء على الثورة وكذلك استعملت السلطة الفرنسية وسائل سياسة كالتسمم الدعائي.

ومن هذا المنطلق عرض ديغول مشروعه تسلم الشجعان: الذي لقي بالرفض من طرف الثوار باعتباره استسلام وليس سلم والمتمثل في إصلاحات اقتصادية مستعجلة في محاولة لفصل الثورة عن الجماهير وما هي في حقيقة الأمر إلا خدعة وعند فشل سياسة الجزرة على حد تعبير السياسيين ظهر الوجه الحقيق للجمهورية القاضي شن هجومات على المعاقل الجبلية للثورة بقوة تتراوح ما بين يرومير Brumaire في القبائل الكبرى التاج Couronneفي الونشريس والمنضار الأحجار الكريمة وغيرها.[19]

وفي هذه الفترة بلغ القمع البوليسي حده الأقصى في المدن والأرياف وفرضت على الأهالي معسكرات الاعتقال الجماعي في مختلف المناطق اما رد جيش التحرير الجزائري فقد كان فوض معارض عنيفة ضد الجيش الفرنسي واعتمد خطة توزيع القوات على جميع المناطق من أجل إضعاف قوات العدو المهاجمة وتخفيف الضغط على بعض الجبهات بالإضافة إلى فتح معارك مع من أجل إنهاكه واستنزاف قواته[20] ولعل ابرز معارك هاته الفترة معركة عنابة 24 جوان 1959 ومعركة عين زانة 14 جوان 1959 والتي استهدفت مبنى المنارة الميرادور" مبنى الكوندوس مقام الجنود الفرنسيين ومعركة جيمال في بلاد القبائل 1959.[21]

وفي نوفمبر من عام 1958 شن الجيش الوطني هجومات على الخط المكهرب والمعروف بخط شال على الحدود التونسية.

---

[19] مجلة الجيش : العدد السابق، ص ص 37- 38.

[20] مسعود مزهودي و اخرون، المرجع السابق، ص 87.

[21] محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والعمود، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1999، ص ص 128- 132.

وعلى الصعيد السياسي طرحت قضية الجزائر في الأمم المتحدة وفي مؤتمر الشعوب الإفريقية بـ" أكرا" ولاقت التضامن والدعم الكلي والتأييد المطلق لها.[22]

وقد تابع جيش التحرير نشاطه في المنطقة الجبلية والحدودية وأمام الخسائر الفرنسية قام المجلس الوطني بعقد دورة ثالثة في طرابلس 20 ديسمبر 1959 ، 20 جانفي 1960 وخلص في النهاية بأن الثورة مستعدة للحوار مع الحكومة الفرنسية على أساس حق الشعوب في تقرير المصير وأمام الضغط المتزايد اعترفت فرنسا بهذا الحق في سبتمبر 1960 وخولت مهمة المفاوضات للحكومة المؤقتة مع الحكومة الفرنسية هاته الأخيرة استعملت كل الحيل للتنصل وبث الشقاق في أوساط الثورة.

أي أن كل المحاولات باءت بالفشل أمام تمسك وإصرار الثورة على هدفها فرفض تسلم الشجعان، وفشلت الاتصالات الأولى في مولان ما بين 25 و 29 جوان 1960 وبفضل جهود جبهة التحرير التي حضيت بتأييد الرأي العام للقضية الجزائرية في مؤتمر الشعوب الإفريقية في تونس جانفي 1960 أو مؤتمر رؤساء الدول الإفريقية أديس بابا جوان 1960 ومؤتمر وزراء الخارجية الأفارقة "ليدوفيل" أوت 1960[23]، وخلال الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة صرحت 63 دولة على أطروحة الحكومة المؤقتة وقام الشعب بتدعيم هذه الأطروحة من خلال مظاهرات 11 ديسمبر 1960 في العاصمة لتدعيم التراب الوطني كله رافضة كل المخططات الاستعمارية.

المرحلة الرابعة: مرحلة المفاوضات والاستقلال (1960-1962)

خلال هذه الفترة الهامة والحاسمة من ثورة التحرير حاول الفرنسيون حسم القضية الجزائرية عسكريا لكنهم لم يفلحوا في ذلك لأن جذور الثورة كانت قد تعمقت وأصبحت موجودة في كل مكان وأضحى من الصعب بل من المستحيل القضاء عليها ورغم هذا الواقع فقد قام الفرنسيون بعدة حملات عسكرية ضخم على مختلف المناطق الجزائرية ولكنها جميعا باءت بالفشل وتكبد الجيش الفرنسي خلالها خسائر فادحة وقد تم في جانفي 1960 تشكيل أول هيئة أركان للجيش الفرنسي الذي أصبح جيشا تضامنيا ومتطورا في عدته وعتاده وتم تعيين العقيد

---

[22] نفسه، ص 132.
[23] مجلة الجيش، العدد السابق، ص 40.

محمد بن إبراهيم بوخروبة المعروف ثوريا وسياسيا بهواري بومدين أول رئيس للأركان لهذا الجيش.[24]

وشهدت الفترة الممتدة بين 20 ماي و 28 جويلية 1961، جولتين من المفاوضات، الجولة الأولى معروفة بمفاوضات ايفيان الأولى تميز لها عن مفاوضات ايفيان الأخيرة في مارس 1962، كانت هذه أطول الجولات كلها (20 ماي 13 جوان) وأقلها نتيجة ثم تلتها جولة قصيرة (28-20 جويلية) جرت وقائعها في مكان غير بعيد عن الأول هو مدينة لوغران على مرتفعات ايفيان.[25] وجاءت هذه المفاوضات بالفشل بسبب تمسك فرنسا بفكرة فصل الصحراء والمبالغة في المحافظة على الامتيازات الأوروبية والمطالبة بتجريد جيش التحرير من السلاح وغيرها من المطالب.[26]

وخطت المرحلة الحاسمة من المفاوضات الفترة الممتدة من أكتوبر 1961 إلى مارس 1962ومرت خلالها بثلاثة أطوار: سلسلة من الارتباطات السرية في أكتوبر، جانفي، مهدت أساسية سرية عرفت بمفاوضات لروس في شهر فيفري 1962 ثم كانت الخاتمة في ايفيان الثانية في الشهر الذي تلاه وعقد المجلس الوطني للثورة الجزائرية دورته الرابعة في طرابلس من 9 إلى 27 أوت 1961 وشكل حكومة جديدة وتم التأكيد على دعم الكفاح المسلح والنضال الجماهيري لكن دون التخلي عن منظور المفاوضات.

يوم 5 سبتمبر 1961 كان تاريخا هاما في مسلسل المفاوضات في ذلك اعترف ديغول بالسيادة الجزائرية على الصحراء وبذلك ذللت إلى حد كبير إحدى العقابات الكبرى التي أفشلت مفاوضات ايفيان ولوغوان وهي مشكلة الصحراء.[27]

وتمت التسوية في مفاوضات لي روس "les rousse" من 11-19 فيفري 1962 كانت مفاوضات لي روس صعبة للغاية بالنسبة للوفدين[28] لكن الإجراءات أخذت مجراها بناء على رغبة ديغول الذي كان يريد أن يبدوا الاستغلال وكلفه

---

[24] مسعود مزهودي وآخرون: المرجع السابق، ص 88.
[25] صالح بلحاج: تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث، 2008، ص 374.
[26] صالح فركوس: تاريخ الجزائر والمراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع.
[27] صالح بلحاج: المرجع السابق، ص 400-401.
[28] المرجع نفسه: ص 408.

منح من قبل فرنسا ولم ينتزع انتزاعا وقد عين المفوض السامي "كريستسان فوشيه" لكي يرأس عملية نقل السلطات وضمنت بنود الاتفاق ما يلي:

1-يحق لمواطني كل من البلدين أن يعيشوا أو يعملوا على البلد الآخر.

2-تعتبر أملاك الفرنسيين الباقين على الجزائر مكفولة.

3-تعتبر الجزائر سيدة على الصحراء وتتعاون معها فرنسا في استثمار البترول.

كما تحتفظ بمنشآتها الخاصة بالأبحاث النووية.

4-تتلقى الجزائر مساعدة اقتصادية وتقنية وتبقى ضمن منطقة الفرنك.

5-التعاون والتفاني يستمر.

6-تبقى بعض القواعد الجوية بالإضافة إلى المرسى الكبير بين أيدي الفرنسيين لمدة 15 يوم واستمر نزوح الأوروبيين من الجزائر وهكذا لم يبقى في الجزائر أخيرا سوى 100.000 أوروبي من أصل ميلون الأمر الذي سهل حل المسائل المشتركة فيما بعد.

جرى الاستفتاء في الجزائر في الأول من شهر تمور حيث أجابت الأغلبية الساحقة بنعم على السؤال المطروح التالي هل ترغب في أن تصبح الجزائر دولة مستقلة متعاونة مع فرنسا وفق الشروط المحددة أصبح احمد بن بلة الزعيم الأول لجبهة التحرير وأول رئيس لجمهورية الجزائرية[29] .

[29] بيرنادليدويج: دوغول ماله وما عليه،ت/محمد سميح، السيد طلاس، الدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ص ص 255-256.